الشافعي على فراش الموت!!

حينما يتمدَّدُ الإنسان على فراش الموت ، تُختصر الدنيا أمامه ، وكلٌّ يوصي حسب ما قدَّم في حياته ، فصاحب المال يخاف على ماله ، وصاحب العقارات يوصي بها . . .

أمّا الفقيه الورع الزَّاهد فله فلسفةٌ أُخرى!!

إنه يُناجي ربَّه الذي سيلتقيه بعد لحظاتٍ معدودة ، إنه يتذكَّر الأيام السوابق وما فعل ، ويخلص إلى هذه المقطوعة الرائعة :

ولمّا قسا قلبي وضاقت مَذاهبي ... جعلتُ الرَّجا منِّي لعفوِكَ سُلَّما
تعـاظَمَنـي ذَنْبـي فلمَّـا قَـرَنْتُـه ... بعفوِكَ ربِّي كان عفوُكَ أعْظَما
فما زلْتَ ذا عَفْوٍ عن الذَّنبِ لم تزلْ ... تجـودُ وتعفـو مِنَّـةً وتكَـرُّمـا
فلولاكَ لم يصمدْ لإبليسَ عابدٌ ... فكيف وقد أغْوى صفِيَّكَ آدما
فللّـه درُّ العـارفِ النَّـدْبِ إنَّـه ... تُفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا
يُقيـمُ إذا مـا الليـل مَـدَّ ظـلامَـهُ ... على نفسِه من شدَّةِ الخوفِ مأْتَما
فصيحـاً إذا مـا كـان فـي ذِكْـرِ ربِّـه ... وفي ما سِواهُ في الورى كان أعْجَما
ويذكرُ أيّاماً مضتْ من شبابه ... وما كان فيها بالجهالةِ أجْرَما
فصـارَ قـريـنَ الهـمِّ طـولَ نهـارِه ... أخا الشَّهدِ والنَّجوى إذا الليلُ أظْلَما
يقولُ حبيبي أنتَ سُؤْلي وبُغيتي ... كفى بكَ للرَّاجين سُؤْلاً ومَغْنَما
ألَسْتَ الذي غذَّيْتَني وهَدَيْتَني ... ولا زِلْـتَ منَّـانـاً علـيَّ ومُنعِمـا
عسى مَنْ له الإحسانُ يغفرُ زَلَّتي ... ويسترُ أوزاري وما قد تقدَّما[1]

وتوفي الشافعي بعدها في يوم الجمعة عام (٢٠٤ هـ) ، ودُفن بمصر بتربةٍ تُعرف اليوم بتربة الشافعي ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .